قراءة في لوح نرجول

(من النحت الحضري)

أ.م.د.هادي مشهدي عجيل

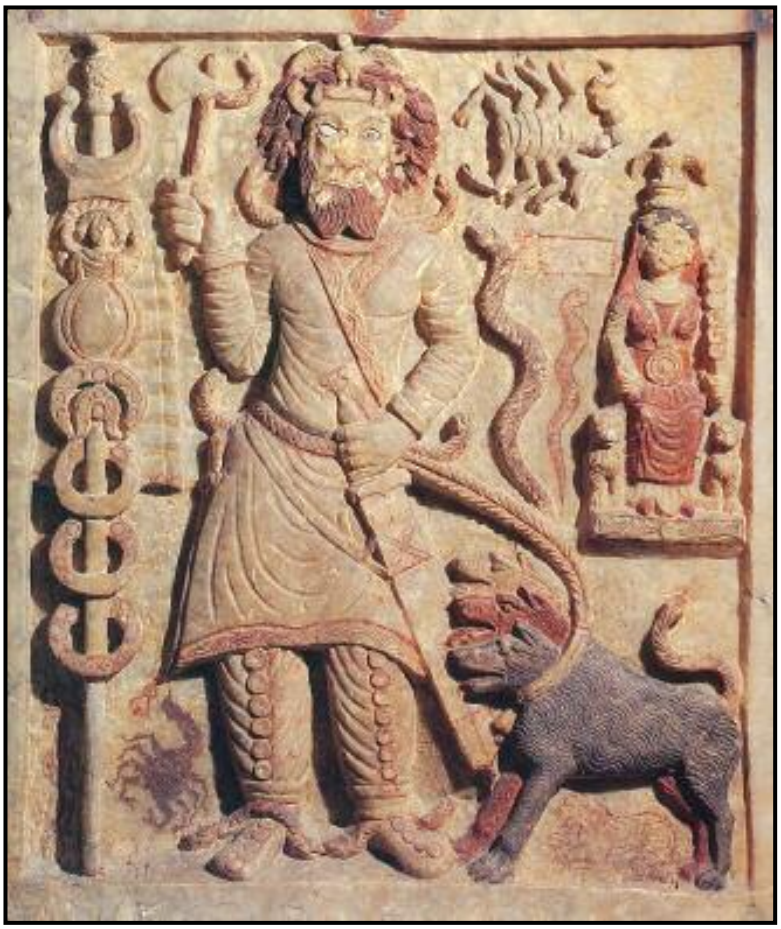

مقدمة:

الأسطورة ذلك العالم الغريب المجهول الذي يرويه الناس بعضهم يؤمنون به وآخر يبقى بعيد الصلة عنه ولكن لا يمكن أن يشكك به وبما يعتقد به البعض الآخر، تبقى متوارثة من جيل لجيل حتى تتذكر جزئياً أو كلياً وحسب ثقافة الكائن البشري. وفي معطيات كثيرة نجد الإنسان لا يتوانى أن يوعز تلك الأشياء إلى مجهول مسيطر ومهيمن، يستطيع أن يكون متحرراً من كثير من الالتزامات والإشكالات التي يعاني منها الإنسان، وهو في هذا إنما ينتمي أو يجعله الإنسان ينتمي إلى عالم الغيب ليكون رمزاً لتلك القوة العظيمة التي تتلاعب بمقدرات البشر والحيوان والنبات،

أو يكون هو نفسه منتمياً إلى مجمع الآلهة العظيمة المقدس، الخالد أبداً والمسيطر على مكونات هذا الكون الكبير، وفي هذا المجمع الإلهي يتمتع الآلهة بروح المساعدة والخلق والإبداع وبعضهم تمتلكهم روح الحسد والحقد والكراهية والبعض الآخر له من حب الذات ما يجعله يتصرف دون أن يفكر بما قد يسببه تصرفه ذلك من أذىً لغيره من البشر أو من الآلهة.

وفي الأسطورة المتوارثة تكمن عظمة الإنسان فهو فيها ينقل تراثه إلى أبنائه ومن ثم أحفاده وفي هذه العملية (عملية النقل) إنما تكمن نواة ثقافة الفرد ومعتقده، وتكشف الأسطورة فيما تكشف عنه عن تنامي الفكر والوعي البشري، وقيمتها المعنوية كبيرة جداً وكذلك دورها في تأريخ الشعوب أو تأريخ الإنسانية. والأسطورة هي حدث متناقل جيلاً لجيل وترتبط ارتباطاً وثيقاً بتأريخ بني البشر، ولكون الجنس البشري موزع على عدة مناطق مختلفة جغرافياً، لذا نجد وبسهولة تلك الاختلافات الظاهرة بين أسطورة شعب وآخر تبعاً للظروف المناخية التي يعيشها وطبيعة الأرض التي يسكنها

والمحاصيل التي ينتجها وكذلك الحيوانات التي يعايشها أو تلك التي يصطادها، ولكن وعلى الرغم من هذه الاختلافات البينة فأننا نستطيع أن نتلمس الكثير من الرموز المتشابهة والتي تحكم الظواهر الطبيعية والغريزية رغم ابتعاد بعضهم عن البعض الآخر وعدم وجود واسطة للتواصل إلا ما ندر.

وتبقى الرموز الأكبر التي تتحكم بمصائر الإنسان هي الرموز المهيمنة على طبيعة الحياة وديمومتها وحتى نهايتها فالشمس والقمر والريح والماء والنار والحب والبغضاء والكراهية كلها يمكن أن تعد رموز عامة، وكذلك فأن الرمز الأكبر والأوحد الذي لا يختلف عليه اثنان هو الموت وكيفيته ربما تتغير النظرة إليه من شعب إلى آخر، ولكنه يبقى هو الحاجز الكبير الذي لا يمكن لمن يجتازه أن يعود منه وتختلف نظرة الشعوب إلى مصير الموتى وعالمهم، فهو عالم اللاعودة ذلك العالم الذي نذهب إليه سعياً مادمنا في الحياة، ولكن أين ومتى وكيف كل هذه الأسئلة لا يمكن لأي منا الإجابة عنها فهي في عالم الغيب الذي لا نستطيع أن نفك فعاليته أو رموزه، ولذلك حاول الإنسان جاهداً أن يجد صورة ما يحاورها ويتصل بها عبر قنوات الإيمان بمعتقد ما، والإنسان القديم وهو يشاهد هذه المؤثرات الكبيرة المؤثرة في حياته يحاول جاهداً أن يجد حلولاً ومناخات يستطيع من خلالها أن يتقرب بها إلى عالم اللامرئي والعالم الآخر عبر ما يصنعه من رموز لذلك العالم، يحاورها ويتقرب لها ويقدم لها القرابين لكي يرضى عنه المسيطرون عليها، ومن هؤلاء يبقى عالم الموت والعالم الأسفل أو بتعبير آخر عالم اللاعودة هو من أهم هذه العوالم والمسيطرات الكونية عليه، والتي يبذل جهداً كبيراً وجباراً في سبيل التقرب منها والابتعاد عن شرورها وعن ملكوتها الذي إن زاره لا يمكن أن يعود منه ليكون شاهداً، هو حلم يحاول أن يتحقق منه بطريقةٍ ما، وهو استقراء لطبيعة الحدث وما يمكن أن

ينتج عنه من مؤثرات تستطيع أن ترسم لأي شخص نهاية لتلك الحياة التي يحياها.

من هنا تكون الأساطير نوعاً من أنواع السيطرة على المجهول أو فهمه واستنباط الدروس التي يمكن أن تجعل منه إنساناً سعيداً في مجاهيل عوالم الآلهة التي سيكون سعيداً لو رضت عنه واستقبلته استقبالاً هيناً ليناً وأكرمته لما كان يقدمه لها في حياته من هبات وتضحيات وقرابين ونذور. إنها تساعده في حياته اليومية مادام حريصاً على إرضائها ويجهد نفسه لخدمتها وخدمة معابدها ومن يقوم على خدمتها من الكهان في تلك المعابد.

مشكلة البحث:

الأثر تلك اللقية التي يزيح عنها الآثاري المنقب التراب ليعيدها للنور ربما في أروقة المتاحف أو أي مكان آخر، وفي دراسته لتلك القطعة إنما يصفها ويصنفها ويحاول أعادة مرجعيتها حسب الطبقة الآثارية التي كانت فيها فحسب. والبحث في منحاه العام إنما يحاول الإجابة عن الكثير من التساؤلات المتعلقة بهذا اللوح، فالأسطورة لها متعلقات كثيرة في حياة الشعوب الاجتماعية والدينية. في هذا البحث نحاول الإجابة عن مثل هذا التساؤل الذي أثير حول هذه القطعة أثرية من النحت الحضري وهي لوح (نرجول)، ومحاولة ربط موضوعها كموضوع أسطوري (لما تحويه من معاني ورموز) بالأساطير التي قبلها، تلك التي من حضارة وادي الرافدين أو التي من الحضارات الأخرى، شكلاً ومضموناً. والباحث في هذا إنما يحاول تحليل هذه القطعة للوصول إلى أصولها ومرجعياتها الرافدينية أو الأجنبية على حدٍ سواء.

أهمية البحث:

هذه القطعة التي يتناولها البحث من القطع النحتية الحضرية المهمة للكثير الذي تحويه من رموز، ولأنها لم تحض بدراسة حول ماهيتها ومضمونها قبل هذا، لذا وجد الباحث إن من الضروري الإلتفات إلى هذا الجانب محاولاً دراستها للإلمام ببعض ما يمكن أن تقدمه من معلومات تفيد المعنيين بالإرث الفني لمدينة الحضر وكذلك يمكن أن يفيد منها المعنيون بدارسة آثار حضارة العراق كأثر للإنسانية جمعاء والدارسين لعلم الأساطير وتفرعاته واهتماماته.

هدف البحث:

الكشف عن غاية الفنان النحات في لوح (نرجول) من النحت الحضري.

حدود البحث:

لوح نرجول المكتشف في مدينة الحضر.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

قراءة في لوح (نرجول) ((من النحت الحضري))

مر الإنسان بظروف عديدة أستطاع أن يتأقلم مع بعضها ولم يستطع أن يتأقلم مع البعض الآخر فبقى حائراً في تكوينها ومفكراً في كيفية الخلاص منها أو السيطرة عليها مما جعله يطيل التفكير لإيجاد حلول لها وكذلك البحث في مفرداتها فالقوت والصيد والسكن والنار والفخار أصبحت جميعاً في قبضته ولكنه بقي حائراً أمام قوى الطبيعة والحياة ونتيجتها الحتمية (الموت).

فالمناخ المتغير للفصول وكذلك القوى الخارقة للبرق والرعد وعدم السيطرة عليها وكذلك دوافعها ومكوناتها تبقى غير مسيطر عليها وتبقى الطبيعة هي المصدر الرئيسي المكون لها وكذلك للرياح والأمطار، كل هذا كان يدفع الإنسان للخضوع لإستثارات الطبيعة وأفعالها بدون أن يستطيع رداً لأي منها. وهذه المناخات المتغيرة وببساطة لاحظ الإنسان إنها ترتبط بمواعيد شبه محددة فالأمطار والبرق والرعد متلازمان على الأغلب مع البرد الشتائي القاسي وكذلك تجرد بعض الأشجار والأرض من الأوراق والأعشاب، أما الحرارة والجفاف وانقطاع المطر فيكون متلازماً مع الصيف وحيث تهب تلك الرياح القاسية والمحملة أحياناً بالكثير من التراب الذي يغطي كل شيء. وبالخبرة المتراكمة للإنسان في تفهم مثل تلك الحالات والتغلب على بعض نتائجها استطاع وبالتدريج إيجاد الكثير من الأفكار وينظمها لتصبح بعد ذلك أساطيراً يمكن أن يتفهم من خلالها مجريات الأحداث وبعض معطياتها، فالطقوس والعقائد السحرية تترابط في فكر الإنسان ترابطاً قوياً يصعب فك الارتباط بينها تماماً وكذلك من الصعب إفراد أي منها عن الأخرى، فالإنسان في ممارسة طقوسه تلك وعقائده إنما يبحث عن طريق للخلاص أو الهروب من تلك المؤثرات الغريبة والقوية والتي تؤثر بشكل فاعل وأكيد وواضح على مجمل حياته أو جزيئاتها. وفي طقوسه محاولة منه لتجاوز مالا يتمكن من فهمه في عالمه الدنيوي، وحيث يكون نشاطه ذلك سمة تتوارثها منه الأجيال اللاحقة حيث تكون إرثاً

حضارياً أو تراثياً أسطورياً يؤديه الفرد دون أن يكون له رأي فيه، ومن أهم هذه الأحداث المؤثرة في حياة الإنسان هو الموت.

"فالتركيب الأسطوري والسحري في نظر المفكرين المتطورين ما هو إلا أحد الترسبات أو البقايا الحضارية التي انحدرت من العصور الحضارية التي أتسمت بطغيان الخرافة على الفكر الإنساني في بداية مسيرته التطورية"[١].

الموت هذا الحدث الذي ينهي الحياة ويفقد من خلالها الإنسان بعضاً من أهله ومعارفه والمحيطين به، والذي يأتي في كل حين ودون أن يستطيع أن يربطه بغيره من الظواهر الطبيعية الصرفة، بقي الإنسان عاجزاً تماماً حياله ومؤمناً به أيماناً مطلقاً كنتيجة حتمية لكل مظاهر الحياة. استطاع الإنسان أن يتقبل هذه الحالة ويحولها إلى واحدة من مظاهر الحياة سواءً اكتسابا أو فقداناً، ويؤمن بها إيماناً مطلقاً دون أن يحاول تجنبها أو تجنب مسبباتها، على الرغم من ذلك أوجد لهذا الحدث مملكة خاصة تنبعث داخل الأرض(بعد فقدان الحياة) وبكل ما تحويه من عناصر مؤثرة ومسيطرة على هذه المملكة بكل أجزائها وعناصرها وكائناتها الخرافية بالتأكيد وقد حاول أن يصف بعضاً من مكوناتها وطرقها كما ورد ذلك على لسان (أنكيدو) وهو يخبر (كلكامش)[٢]. وفي نص آخر نستطيع أن نتلمس قوة هذا العالم وقدرته الفائقة وسيطرته حتى على مجمع الآلهة واستكانته أمام جبروته في الأسطورة التي تتحدث عن نزول الآلهة (إنانا) (عشتار)[٣] إلى العالم الأسفل"[٤] . ثم عودتها بتوسط وتدبير مساعدها مع أحد الآلهة وتعويضها عن ذلك بأمر الشياطين الذين حضروا معها لأخذ زوجها تموز وتتواصل الأسطورة فتذكر أن أخته أخذت تقضي نصف العام بدلاً منه، حيث تزدهر الأرض بخروجه من عالم الموت وانبعاثه من جديد فيبدأ الربيع وهكذا تستمر سلسلة الفصول تبعاً لهذه الأسطورة كما وردت عن مخيلة الإنسان السومري"[٥]

ولديمومة الحياة لابد للذكر من أنثى للمحافظة على نوعية الجنس وهذا أيضاً ليس ببعيد عن مجمع الآلهة فهم يبحثون عن

زوجات لهم وكذلك فأن الآلهة الأنثى تبحث عن زوج لها، وقد يكون الشخص المختار إلهً أو إلهة وربما إنساناً عادياً كما في كثير من أساطير (زيوس) كبير الآلهة لدى اليونان"[٦]. أو غرام (أورورا) ربة الفجر بـــ (تيتون) بن (مريام) ملك (طروادة) [٧] .

وأحياناً يكون الاعتقاد موجوداً بانفصال الروح عن الجسد دون أن يؤدي ذلك إلى الموت حيث تبقى الروح طليقة تجوب الآفاق حرةً نقية من كل سوء، وهذا ما نلمسه في عقائد بعض القبائل البدائية والسلطات الروحية الدينية، إذ تتمكن الروح في الحلول في جسدٍ ما إذا أرادت ليكون هذا الجسد وعاءاً مؤقتاً يمتلك من الطاقات (في اعتقاد أتباعه وجماعته) ما لا يستطيعون أن يمتلكوه هم أو حتى أن يتصوروا كيفية ذلك الانتقال والحلول كما يحصل في انتقال روح (توساكان) ملك دولة سيلان إلى صندوق في بيته عندما يخرج إلى الحرب، ولهذا السبب فهو لم يكن عرضة للموت أثناء القتال، أو انتقال الروح إلى جسد حيوان معين أو نبات معين، وبهذا يصبح الإنسان غير معرض للموت ما دامت الروح خارجه. [٨]

تتناقل هذه الأساطير وغيرها من حضارة إلى أخرى وحسب التسلسل الزمني وربما تنتقل من دولة إلى أخرى معايشة أو لاحقة لها، وفي هذا صيغة إنسانية تحكم وتحتم الانتقال الثقافي بصورة متبادلة بين الحضارات المترافقة زمنياً أو بصورة انتقالية أو وراثية بين الحضارات المتعاقبة، ودولة الحضر إحدى هذه الدول أوالحضارات التي حوت الكثير من الأساطير ومجدتها مثل زواج كبير الآلهة (مرن) بالآلهة (مرتن) وكان الناتج من هذا الزواج الإله (برمرين) وهذا التكوين الأسري هو الثالوث الإلهي المعبود في مدينة الحضر"[٩]. بالإضافة إلى آلهة آخرين نذكر منهم على سبيل المثال لاالحصر (بعلشمين) و (نرجول) و (اللات) و (النسر)"[١٠]. وما يهمنا في هذا البحث هو الإله (نرجول) إله العالم الأسفل وهو تسلسل منطقي للإله (نركال) إله العالم الأسفل في العقيدة الرافدينية القديمة "[١١].

ففي الحضر وجدت العديد من المنحوتات الخاصة بالإله (نرجول) متمثلاً بعدة أشكال معظمها على شكل (هرقل) وهو عاري يحمل هراوة ومتدرعاً بلبدة أسد، أو يمسك بطاس في يده "[١٢]. وفي الفنون الرافدينية القديمة تمثل (نركال)كثيراً وخاصة على الأختام الأسطوانية وقد ظهر وهو يصارع الحيوانات المتوحشة أو يحمي بعضاً من الأليفة منها[١٣]. وهو كذلك زوج (إرشكيجال) آلهة العالم الأسفل وقد توله بها وتزوجها بعد أن غضبت عليه وأنزلته إلى العالم الأسفل مغضوباً عليه كما تذكر الأسطورة الرافدينية القديمة[١٤]. حيث تزوجته ليصبح إلهاً للأرض التي لا رجعة منها"[١٥]. التي يخافها الكثير من الآلهة ويخافون أن يلجوها خوفاً من الموت مثل ما حصل عندما توجه (ننشوبر) وهو المساعد الأمين ل (إنانا) إلى (إنليل) من (نفر) و(ننا) من (أور) ورفضا تقديم المساعدة لإنقاذ (إنانا) من العالم السفلي[١٦]خوفاً من أن يكسبا غضب الإلهين(نركال وأريشكيجال).

كذلك فإن الأسطورة الإغريقية تتكلم عن صعود الإله (بلوتو) إله الموت ورب الدار الآخرة، فقد مل وضجر من حياته في مملكته تحت الأرض (مملكة هيدز)، فأسرج عربته وخرج إلى مملكة الأحياء التي يحكمها أخوه (زيوس) فسمع ضحكات رنانة وأصوات موسيقية كانت تصدر عن فتيات جميلات تتوسطهن (برسيفون الجميلة) ابنة الآلهة (ديمتير) ربة الخيرات والبركات، فهجم عليهن وأفزعهن بمنظره وبكلبه (سيربيروس) ذو الرؤوس الثلاثة وأختطفها من بينهن وحملها معه في عربته ومضى يسابق الريح حتى أعترض سبيله ماء فار كالتنور ويغلي كالحميم، فضرب الأرض بصولجانه فانشقت عن أخدود كبير فدخل من خلاله إلى(مملكة هيدز) مصطحباً معه (برسيفون) الجميلة الباكية والتي لا تزداد إلا نفوراً منه مهما حاول إرضائها، حيث أراها جميع ما في مملكته وعرض عليها شياطينه وأنهار جحيمه وكذلك وادي الأفاعي والعقارب وعقاب بعض الناس ذوي الصفات المكروهة مثل المنافقين والكذابين والخونة واللصوص،

وأشجار النار ذات اللهب الشديد، ولكنها ما كانت تزداد إلا نفوراً وابتعاداً عنه. وعند عودة أمها (ديمتير) مساءاً إلى بيتها لم تجد أبنتها فنادت وأكثرت النداء ثم بحثت كثيراً فلم تجدها، وحملت شعلة كبيرة وفتشت جميع الأماكن المظلمة وأعماق الكهوف والأودية والغابات والجبال دون جدوى، ولما فقدت الأمل بالعثور على حبيبتها اتخذت قرارها الذي لا رجعة عنه بألا ينضر حقل ولا ينبت نبات ولا تثمر شجرة مادامت (برسيفون) غائبة بعيدة عنها، فجف النبات ويبس دون أن يؤتى أكله وبقيت البساتين دون ثمر فانتشرت المجاعة بين الناس والحيوان ونشر الجوع ألويته على الأرض جميعاً، دون أن يرف ل (ديمتير) جفن أو تستمع لصرخات الناس وأدعيتهم وصلاتهم، ولكن إحدى عرائس الماء أخبرتها عن قصة خطف (بلوتو) لإبنتها، فذهبت إلى (زيوس) كبير الآلهة ليتوسط لإطلاق سراح ابنتها، الذي وافق بعد إن اشترط عليها شرطاً قاسياً وهو أن لا تكون (برسيفون) قد ذاقت طعام (مملكة هيدز) وبخلاف ذلك فأنها لا تصلح للحياة في مملكته (دار الحياة الأولى)، ولكن لسوء حظ (ديمتير) فأن (برسيفون) ورغم امتناعها الشديد عن تناول أي طعام عند (بلوتو) فأنها وفي نفس اليوم كانت قد تناولت ست حبات من الرمان فقط، فعلم (زيوس) إنها وباختيارها ودون علم منها ستبقى لقاء ما أكلته من طعام ستة أشهر في عالم الموتى وهكذا وحسب هذه الأسطورة تتحقق دورة الفصول الأربعة إذ يكون موعد ذهابها إلى (مملكة هيدز) في الشتاء والخريف أما عند عودتها للحياة مع أمها فيكون الجو ربيعاً وصيفاً. وهذه الأسطورة إنما توزع الفصول وحسب أهواء الآلهة ونفسيتها والتي تستطيع أن تسيطر على مقاليد الأمور والحياة بالنسبة للأرض والناس[١٧] ومجاراةً لهذه الأسطورة والأساطير الرافدينية القديمة فأن لوح (نرجول) ((الذي عثر عليه في المعبد الأول مبنياً في جدار الخلوة وأمامه نصب للبخور)) [١٨] ((قياسات اللوح ٩٠ x ٧٥ من الرخام الرمادي)).

يوضح هذا اللوح (المنفذ بالنحت البارز) قراءة خارجية للشكل، وجود الإله (نرجول) ((إله الحرب والعالم الأسفل لدى الآشوريين)) بمنظره البشع المخيف متسلحاً بفأسه الأفعواني وسيفه الكبير وخنجره المتدلي على يمينه، بشعره الكث والذي يزيد من خلق الرعب لدى نفوس مشاهديه، لون شعر رأسه ولحيته باللون البني القاتم وتكوين الشعر يشابه تكوين لهب النار، وطعمت عيناه بأحجار بيضاء وسوداء، يخرج من رأسه زوج من القرون وكذلك زوج من الأفاعي، يعلوه النسر الحضري دليل الألوهية وكذلك دليل على تلك العلاقة الوشيجة بينه وبين الآلهة النسر حامي الحضر، حاملاً فأسه الكبير الذي يحوي عدا نصل الفأس على رأس أفعى (وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعالم ما بعد الحياة)، إذ إنها تكون مسبباً للكثير من الوفيات هي والعقارب السامة القاتلة، وبذلك فإنها تكون أسلحة الفتك بالناس والحيوان على حدٍ سواء للإله (نرجول)، فهو يتزيا بها ويتفاخر بوجودها حوله، تنفذ أوامره وتحمي مملكته ممن يدخل إليها من البشر والحيوان والآلهة كذلك. حزام (نرجول) على شكل أفعى ملتفة مع أخرى يبرز رأساهما عند حافتي الحزام، كذلك نستطيع أن نشاهد زوجاً من الأفاعي خلف كتفيه وأخريين يمران على قدميه كما وهناك اثنتين طليقتين واحدة تتجه نحو الآلهة (نرجول) كحارس أمين له وأخرى أصغر منها محززة على خلفية اللوح وملونة متجهة نحو الآلهة (اترعتا) [١٩] وهناك عقربين أحدهما كبير ومنحوت والآخر أصغر منه منفذاً بالرسم الملون على خلفية اللوح، ويشاهد سيف كبير بحمالة معدنية على شكل حرف (X) اللاتيني، الكلب الحارس ذي الرؤوس الثلاثة ملون بثلاثة ألوان وبذيل محور على شكل أفعى ترفع رأسها وتمد بلسانها باتجاه الآلهة (أترعتا) تحت هذا الكلب المنحوت يوجد تخطيط محفور وملون باللون البني لأسد وبحجم أصغر من الكلب مما يدلل على عظمة الكلب حتى على ملك الغابة وسيدها والذي سيكون بالتأكيد وبنهاية معينة ضيفاً على مملكة (نرجال) ويحرسه أو يعاقبه الكلب الكبير حارس المملكة والآلهة.

يحوي اللوح على تكوين للآلهة (أترعتا) وهي جالسة على عرشها الذي يتكون جانباه من شكل أسدين تحمل على رأسها تاجاً دائرياً يعلوه الآلهة النسر حارس المدينة وتتزيا بقلادة كبيرة تكاد تشبه قرص الشمس، وتحمل في يدها اليمنى سعفة المباركة وفي يدها اليسرى الراية الحضرية المعروفة (رموز التثليث الحضري وقرص الشمس وثلاث حلقات). ويوجد على قاعدة عرشها وتحت قدميها بالضبط سمكتين منحوتتين بينهما حلقة دائرية، على يمين الإله (نرجال) تنتصب الراية الحضرية فوق سارية كبيرة يقف على قمتها نسر طاوٍ لجناحيه على عكس النسرين الموجودين على رأسي الإلهين حيث أنهما يبدوان وقد نشرا جناحيهما. ومن هلال مكور الرأسين ثم يتلوه قرص فيه نحت إله الشمس (مرن) كبير آلهة الحضر تبرز حول رأسه أشعة الشمس ويوجد حول رقبته هلال، وتحت هذا القرص يوجد قرص آخر محزز من الجانبين وبما يشابه سعفتين ثم يليه وبالمقلوب حدوتا فرس وفتحتهما إلى الأسفل وإحداهما داخل الأخرى ثم يلي ذلك ثلاث حلقات مزينة بخطوط ونقاط حمراء. كذلك يتدلى من أعلى الراية وإلى الخلف منها شريط عريض يبدو إنه مربوط على قاعدة مثبتة بين الهلال في الأعلى وقرص إله الشمس، يتدلى هذا الشريط وصولاً إلى منتصف الحلقة الأولى (أي الثالثة من الأسفل)[٢٠].

وفي هذا اللوح إشارة إلى أسطورة نزول الآلهة (أترعتا) إلى العالم الأسفل ولكن بهيئة مختلفة عن تلك التي ترويها الأسطورة الرافدينية ففي تلك الأسطورة يبدأ أعوان إله العالم السفلي بنزع رموز السلطة واحداً بعد الآخر وكذلك الحلي والملابس فـــ (إنانا في الحضارة السومرية) وكما تروي الأسطورة تنزل عارية تماماً دون سترٍ يسترها وهنا الاختلاف بين اللوح والأسطورة الرافدينية، فاللوح هو أقرب إلى الأسطورة الإغريقية والخاصة بخطف (برسيفون) الجميلة حيث تنزل بملابسها بينما إله العالم السفلي (بلوتو) يحاول أن يستعرض أمامها قوته ووحوشه، ويحاول جاهداً أن يسترضيها

بكل ما يستطيع وبتقديم الكثير في محاولة منه لإبقائها لتكون شريكته في حياته ومملكته وتكون ملكة على العالم الأسفل بكل ما يحوي من رموز ووحوش وهي مع رفضها المستمر ستكون في النهاية طوع أمره وترضخ للأمر الواقع الذي تعيشه.

وهنا في النحت الموجود على اللوح نشاهد (أترعتا) وهي بكامل زينتها ورموزها الملكية، تجلس على عرشها المتخيل من قبل البشر ورؤيتهم لعالم الآلهة، وكذلك هي تحمل بيديها رمز الحياة السعفة المباركة وكذلك الراية الملكية لدولة الحضر مما يدل على احتفاظها بكل ما تتمتع به من قدرة إضافة إلى ما يقدمه (نرجول) من مكانة خاصة لشريكة المستقبل في حكم هذه المملكة القاهرة القوية والمسيطرة على كل الفكر وفيها تنتهي جميع عناصر الحياة الطبيعية وهي كذلك النهاية الطبيعية لكل مظاهر الحياة وفي هذا يكمن سر قوتها، ففي هذا تظهر الأسطورة الحضرية والتي هي استمرار للأسطورة الرافدينية القديمة مع تلاقح واضح بفكرة الأسطورة الإغريقية، وفي اللوح يمكن ملاحظة ميل الفكر الحضري الذي وثقه النحات بمنحوتته هذه نحو الفكر الإغريقي والذي يبعد شبح الموت عن الآلهة ولا يرتضي لها أن تصاب بما يصاب به أتباعها من البشر.

ربما هي (أترعتا) بكل زينتها وأبهتها الألوهية وما تحمله من رموز خاصة بمملكة الحضر، إذن هي بذلك ليست (عشتار) (سومر أو أكد ولا آشور وبابل) ولا هي (برسيفون) الجميلة الوديعة التي أختطفها (بلوتو) والتي لا يمكن أن يمثلها النحات في منحوتته إلا فزعة مرعوبة مذعورة، إنها أترعتا ملكة وآلهة الجمال والعطاء في الحضر بالتحديد، نزلت بكل هيبتها التي لا يمكن للفنان الحضري المتشبع بثقافة بلده وإيمانه المطلق بالآلهة، أن يرى آلهته عارية من ملابسها وزينتها ورموزها، فهو الفنان المتعبد الورع الذي لايستطيع أن يقدم ولو منحوتة تسيء أو تشين ذكرى آلهته المبجلة، آلهة الجمال والعطاء والحب، ربما هي (أترعتا) نزلت إلى العالم السفلي

لتطلب من إله العالم السفلي (نرجول) الوحشي الذي لا يحب إلا نفسه طلباً بالرأفة بأحد أتباعها، وهو القادر على أن يبقي من يشاء من الناس والآلهة بجانبه مرغمين على ذلك البقاء، وربما وفي نرجسية عالية منه نراه هنا يحاول إبقاء (أترعتا) لتكون زوجاً له ويغريها بكل ما يستطيع من وسائل الإغراء الكريهة بالنسبة لها والتي سترفضها بالتأكيد، إذ لابد لدورة الحياة أن تكتمل، ولابد لـــ(عشتار) من أن ترى النور من جديد هي و(تموز) ليستمر الربيع وتنتشر مباهجه لتعم حياة الناس .

نتائج البحث:

تنفيذ المنحوتة جاء واقعياً ممثلاً لعقلية وفكر الإنسان الحضري، حيث استطاع النحات الحضري أن يوظف واقعيته في إنتاجها لكي يستطيع الإنسان المتعبد وهو يقدم القرابين داخل المعبد، أو يقدم فروض الطاعة والولاء لآلهته أن يشاهد قوة وسلطان وجبروت إله الموت (نرجال)، مما يستدعي منه وقفة كبيرة لتقييم حياته وأعماله، وتقديم الأفضل في أعماله وقرابينه لينال رضا الرب ومباركته، هذا الرب الكبير الذي يراه من خلال هذه المنحوتة، مرعباً جباراً قاسياً يمتد سلطانه حتى على الآلهة نفسها.

استطاع النحات في منحوتته هذه أن يجمع ويزاوج بين تراثه الرافديني القريب عهداً منه، والتراث الإغريقي المعاصر له، عبر مزاوجة المفاهيم التي تعتمدها أساطير كل منهما، وربط أسطورتي نزول الآلهة (عشتار، آلهة الجمال في الفكر الرافديني) إلى العالم السفلي،وأسطورة خطف الإله (بلوتو) لـــ(برسيفون، جميلة الجميلات عند الإغريق)، ومداخلتهما بعضهما بالبعض الآخر والخروج بنص جديد نستطيع أن نقرأه من خلال هذه المنحوتة.

المصادر:

١.دريني خشبة. أساطير الحب والجمال عند اليونان، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد١٩٨٦.
٢.السواح، فراس. مغامرة العقل الأولى، ط ٤، دار الكلمة بيروت، لبنان١٩٨٥.
٣.الشمس،ماجد عبد الله. الحضر العاصمة العربية، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد، بغداد١٩٨٨.
٤.طه باقر. مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد١٩٧٦.
٥.طه باقر. ملحمة جلجامش، دار الحرية للطباعة، بغداد١٩٧٥
٦.فؤاد سفر و محمد علي مصطفى. الحضر مدينة الشمس، مديرية الآثار العامة، بغداد١٩٧٤.
٧.كريمر، صموئيل نوح. الأساطير السومرية، ترجمة:يوسف داود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد١٩٧١.
٨.النوري، قيس. الأساطير وعلم الأجناس، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق١٩٨١.
9. The Oasis And Steppe Routes. Silk Road Exposition. NARA 1988.

الهوامش

(١) النوري،قيس.الأساطير وعلم الأجناس، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٨١ ، (ص ٧) .
(٢) طه باقر. مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٦(ص٢٢٦-٢٣٤).
(٣) إنانا هي نفسها عشتار أينما ترد في هذا البحث
(٤) طه باقر. نفس المصدر ، (ص ٢٣٨-٢٤١)
(٥) طه باقر. نفس المصدر ، (ص ٢٤٣) .
(٦) دريني خشبة . أساطير الحب والجمال عند اليونان ج١ ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد١٩٨٦ (ص ١٥٧-١٦٢)
(٧) دريني خشبة. نفس المصدر، (ص ٢٤١-٢٤٧) .
(٨) النوري،قيس، المصدر السابق (ص٦٤-٦٦)
(٩) الشمس، ماجد عبد الله . الحضر العاصمة العربية، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد١٩٨٨ (ص ٩٧ – ١٠٧)
(١٠) الشمس،ماجد عبد الله. المصدر السابق ، ص ٩٧ – ١٠٧
(١١) السواح، فراس . مغامرة العقل الأولىط٤، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد١٩٨٦ ص٢٣٠.
(١٢) الشمس،ماجد عبد الله. المصدر السابق، ص٩٨
(١٣) الشمس،ماجد عبد الله. المصدر السابق، ص ٩٩
(١٤) السواح، فراس. المصدر السابق، ص ٣٠٧
(١٥) كريمر، صموئيل نوح. الأساطير السومرية ، ترجمة;يوسف داوود عبد القادر، مطبعة المعارف،بغداد ١٩٧١. ص ١٣٣
(١٦) كريمر . المصدر السابق، ص ١٣٤
(١٧) دريني خشبة. المصدر السابق ، ص ١٧١ – ١٧٧ بتصرف .
(١٨) فؤاد سفر / محمد علي مصطفى. الحضر مدينة الشمس، مديرية الآثار العامة، بغداد١٩٧٤ (ص ١٩١)
(١٩) (أترعتا: تسمية الآلهة عشتار في مدينة الحضر)
(20) Silk Road Exposition. NARA 1988. The Oasis and Steppe Routes.